African Journal of Advanced Studies in Humanities and Social Sciences (AJASHSS)
المجلة الإفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية
Online-ISSN: 2957-5907
Volume 3, Issue 4, October - December 2024
Page No: 377-387
Website: https://aaasjournals.com/index.php/ajashss/index
Arab Impact factor 2023: 1.25 **SJIFactor 2024: 6.856** **ISI 2024: 0.846**

منهج القصيدة عند شعراء القرنين الثاني والثالث الهجريين: عصر التجديد

د. رياض محمد عبد المؤمن*
قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة بني وليد، ليبيا

The method of poetry among the poets of the second and third centuries AH: the era of renewal

Riyadh Mohammed Abdulmumin *
Department of Arabic Language, Faculty of Education, Bani Waleed University, Libya

*Corresponding author r.momenali@gmail.com *المؤلف المراسل
تاريخ الاستلام: 2024-09-29 **تاريخ القبول:** 2024-11-19 **تاريخ النشر:** 2024-11-26

الملخص
يُمثل القرنين الثاني والثالث للهجرة زمن حكم العباسيين الأول والثاني، وكما نعلم فإن هذا العصر تميز بالتطور الذي طرأ على الآداب في نواحيه المختلفة من الشعر والنثر، فدخول الكثير من الشعوب والقبائل في ظل الدولة الإسلامية ساعدت على دخول الكثير من الألفاظ والمعاني الجديدة التي استعان بها الشعراء، وقد لمع عدد من أسماء الشعراء الذين ساعدوا في التطور الشعري في هذا العصر ومن أشهرهم أبو نواس، وبشار بن برد، وابن الرومي، وأبو تمام وهنا في هذا البحث سوف أحاول التطرق إلى مظاهر هذا التطور، وخاصة في الشق المتعلق بمنهج القصيدة، وهو الذي شهد ثورة كبرى على نمط العصور التي سبقتهم، تمثل هذا الخروج في ضرب الكثير من الأسس التي أستند عليها شعراء العصور السابقة عرض الحائط، معتمداً في محاولتي هذه على المنهج التاريخي مضافاً إليه المنهج الاستنباطي في بيان جزء يسير من هذا التطور. حيث يُعدّ الشعر العربي في عصر العباسيين فناً قائماً بذاته له مراحله ومنهجه ومدارسه، وله أعلامه الذين تزخر بهم المصادر والمراجع، والذين قامت لجلهم دراسة ذات أثر كبير في بيان الموهبة الفطرية للرجل العربي، وكذلك المرأة التي كانت لها شخصيتها الأدبية الفريدة بدءاً من الجاهلية حتى يومنا هذا.
وقد توصلت في هذه الدراسة إلى خلاصة مفادها أن الشعراء انقسموا في ذلك العهد بين محافظ على تقاليد القصيدة الجاهلية والإسلامية وبين خارج عليها بقصد التجديد والابتكار، وكان لطبيعة التطور أثره البالغ في هذا الخروج، فحياة المدن والتطور والدُور والرياض كانت تفرض أنماطًا جديدة غير ما كانت تفرضه البداوة والصحراء، ولهذا انقسم النقاد إلى مؤيد لهذا لتطور، يرى أن التطور لابد أن يفرض على الشعراء مسايرته والسير معه، ومن هؤلاء الراوية حماد إمام الكوفيين وتلاميذه، ومعارض يرى أن هذا الخروج هو دليل على عدم الموهبة وعدم الخبرة بالشعر وفنونه، ومنهم أبوعمرو بن العلاء إمام البصريين وتلاميذه، ولكن وجب علينا احترام وجهة نظر كل عالم من هؤلاء ودراسات الأسباب التي أستند عليها في موقفه هذا .
هذا ما توصلت إليه في هذه المحاولة المتواضعة عن هذا الموضوع الكبير الذي شغل علماء الأدب عصوراً عديدة .....والله أعلم.

الكلمات المفتاحية: منهج القصيدة، الالتزام والخروج، القرن الثاني الهجري، القرن الثالث الهجري، القصيدة العباسية، المطلع، الألفاظ.

Abstract

The second and third centuries AH represent the era of the rule of the first and second Abbasids, and as we know, this era was characterized by the development that occurred in literature in its various aspects of poetry and prose. The entry of many peoples and tribes under the Islamic state helped in the entry of many new words and meanings that poets used. A number of poets who helped in the poetic development in this era shone, the most famous of whom are Abu Nawas, Bashar ibn Burd, Ibn al-Rumi, and Abu Tammam. Here in this research, I will try to address the aspects of this development, especially in the section related to the method of the poem, which witnessed a major revolution in the style of the eras that preceded them. This departure was represented in striking many of the foundations that the poets of previous eras relied on, relying in this attempt on the historical method in addition to the deductive method in explaining a small part of this development. Arabic poetry in the Abbasid era is considered an art in itself, with its own stages, method, and schools, and with its own figures who are abundant in sources and references, and for most of whom a study was conducted that had a great impact in clarifying the innate talent of the Arab man, as well as the woman who had her own unique literary personality from the pre-Islamic era until the present day. In this study, I have reached a conclusion that poets were divided in that era between those who maintained the traditions of pre-Islamic and Islamic poetry and those who deviated from them with the intention of renewal and innovation. The nature of development had a great impact on this departure, as urban life, development, houses and gardens imposed new patterns other than those imposed by Bedouinism and the desert. Therefore, critics were divided into supporters of this development, who believed that development must impose on poets to keep pace with it and walk with it, and among these is the narrator Hammad, the Imam of the Kufians and his students, and opponents who believe that this departure is evidence of lack of talent and lack of experience in poetry and its arts, and among them is Abu Amr bin Al-Ala, the Imam of the Basrans and his students. However, we must respect the point of view of each of these scholars and study the reasons on which he based this position. This is what I have reached in this modest attempt on this great topic that has occupied literary scholars for many ages.....and God knows best.

Keywords: The method of the poem, commitment and departure, the second century AH, the third century AH, the Abbasid poem, the introduction, the words.

نظرة تاريخية

منهج القصيدة كما يبدوا في أمهات كتب النقد والأدب منهج يسعى لا يجاد نظام أو منطق محدد للشعر، وذلك بتحديد الافكار وتسلسلها، ونظام تأليفها وربطها، ويتحد منهج القصيدة مع عمود الشعر الذي سنتناوله لاحقا في خلق قوالب فنية وشكلية متكررة، وقد عرفت فكرة منهج القصيدة على يد ابن قتيبة (ت276ه) وذلك في سياق حديثه عن مهلهل بن ربيعة في بناء شعره،

فذكر انه سمع من اهل العلم أن" مقصد القصيد أنما أبتدأ بذكر الديار ... ليجعل ذلك سببا لذكر اهلها الظاعنين، ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا حدة الوجد والم الفراق ... فإذا علم انه قد اوجب على صاحبه حق الرجاء، وقرر عنده ما ناله من المكارم في السير، بدا المديح فبعثه على المكافأة "[1] وعبارة ابن قتيبة كما يبدوا في مثال محدد، وهو بعض شعر المهلهل، أو غرض المدح عنده، فهو في غرضه هذا يبدا بذكر الأطلال، ثم يصل ذلك بالنسيب ثم يخلص الى غرضه وهو المدح.

[1] الشعر والشعراء لابن قتيبة ص10

غير أن هذا النهج لم يكن طريقة عامة في بناء الشعر الجاهلي، ولم تخضع له نماذج المدح بدقة، فإذا نظرنا في معلقة زهير مثلا وجدناها تسير وفق هذا المنهج حيث تبدا بذكر الأطلال ثم النسيب ثم الغرض، "في حين نجد النابغة في داليته التي مدح فيها النعمان بن المنذر يبدا بذكر الأطلال ثم نجده يصف الناقة والصحراء، ويصور مشاهدها وهذا يعني أن فكرة منهج القصيدة، وأن كان في تركها تجاوز كبير، "إلا انها فيما يبدوا تهتم بالظواهر البنائية المشتركة، مع الحفاظ على الاختلاف في التفاصيل والأجزاء"[1]، وهو أمر بين واضح في القصيدة العباسية، ومنها قصائد ابن الرومي، مع الأخذ بعين الاعتبار أن القصيدة العباسية كانت تتماشى مع أغراض وظواهر ذلك العصر، كما كان حال القصيدة الأموية والإسلامية ومن قبلها الجاهلية ، ولذلك نجد عدد من أقطاب الأدب العربي يطلق مصطلح العلوم العقلية على المنهج الذي أتخذه شعراء العباسية ، فهذا ابن خلدون (ت808) في مقدمته يقول في حديثه عن الحركة العقلية في العصر العباسي " وأعلم أن أكثر من عني بها في الأجيال التي عرفنا أخبارهم الأمتان العظيمتان في الدولة قبل الإسلام هما الفرس والروم، فكانت أسواق العلوم نافقة لديهم، فكان لهذه العلوم بحور زاخرة في آفاقهم وأمصارهم، وكان للكلدانيين ومن قبلهم السريانيين، ومن عاصرهم من القبط ..." ثم يشير قائلاً " فجاءت حضارة الإسلام فأخذت عن الفرس والروم شئياً من علومها العقلية " ثم أشار الى الروايات التي تذكر غزوا الإسكندر الأكبر لبلاد الشرق واستيلائه على كتبهم ومؤلفاتهم، وقد أطلع المسلمون على هذه العلوم أثناء فتوحاتهم، وقد ذكر أيضاً أنه لما فتحت بلاد فارس وجدوا فيها كتبا كثيرة، فكتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب يستأذنه بنقلها، فكتب إليه أن أطرحوها وقال " فأن يكن ما فيها هدىً فقد هدنا الله بأهدى منه، وأن يكن ضلالا فقد كفانا الله فطرحوها"[2] غير أن هذا لم يمنع فيما بعد حركة النقل والترجمة التي نشطت نشاطا كبيراً في أوائل العصر العباسي، أذ كانت ابرز النقول جاءت من ثلاثة مصادر هي اليونان والفرس والهند، فالمصدر اليوناني كما يرى بروكلمان قد وجد مستقرًا في الشرق في عهد الإسكندر، فكانت سورية والرافدين، بحكم قربها من بلاد الروم قد ساعدت على نشر التفافة واليونانية، فكانت الاديرة في سورية تنشر علوم اليونان وثقافتها، وكانت مدينة حران في الرافدين مدرسة اهتمت بالطب والفلسفية اليونانية، أيضاً ذكر أحد المصادر أن ماكس مارهوف ذكر في احد مؤلفاته أن مدرسة عظيمة أسهمت إسهاماً كبيرًا في نقل العلوم اليونانية، هي مدرسة الإسكندرية حيث قال "ومن المؤكد أن مدرسة الإسكندرية كانت قائمة وقت أن فتح العرب مصر، فكانت هذه المدرسة تبعاً للمدرسة اليونانية، وقد قامت بدورها في نقل العلوم الى العرب. [3]

ويذكر المؤرخون أن عدد كبيرًا من التلاميذ قد تخرجوا من هذه المدرسة، كان على رأسهم يحيى النحوي، الذي لقب بالنحوي لقوته في علم النحو والمنطق والفلسفة، وله مؤلفات كثيرة في الطب والفلسفة، كما ذكرت المصادر أنه في الإسكندرية جمعت مؤلفات طبية وفلسفية كثيرة، ثم أنتقل التعليم إلى أنطاكية، وبقي فيها التعليم زمناً طويلا حتى خضعت للحكم الإسلامي سنة سبعة عشر هجرية، فقد كان موقعها بين الإمبراطورية البيزنطية، والدولة الإسلامية، دفع العلماء إلى الانتقال إلى مدينة حران خوفا من نشوب حرب بينهما.

أيضا نشطت حركة الترجمة من اليونانية إلي العربية في العصر العباسي، فكثر النقلة والمترجمون، ومنهم يوحنا بن حاسويه، وكان في أيام الرشيد، فقد ترجم كثيرًا من الكتب الطبية، وقد وضعه الرشيد

---

[1] البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد الحميد، ص90

[2] مقدمة ابن خلدون ج3ص55

أمينًا للترجمة، ووضع له كتاباً يكتبون بين يديه ومنهم الأمين والمأمون أبنائه[2] وبلغت الترجمة أوجها في القرن الثالث الهجري، ولذلك عده المؤرخون عصر الترجمة .

أيضًا كانت العلوم الفارسية والهندية ذات اثر كبير في تطور البيئة العباسية، وخاصةً في عهد الحجاج، والذي نقل في عهده الديوان من الفارسية إلى العربية، وقد ساعد كثير من المؤلفين العرب هؤلاء المختصون بالترجمة على فهم العربية وأصولها فألفوا كتبا كان لها دور في ذلك مثل أدب الكاتب لابن قتيبة، وكذلك أدب الكاتب للصولي، وقد قام عدد من الكتاب العرب أيضاً بالترجمة فنقل عبدالله ابن المقفع من كتب المنطق اليوناني إلى العربية، والتي كان الفرس يأخذونها من اليونان كذلك، أيضا أخذ الفرس من الهند شيئاً من العلوم كالفلك، أيضاً وصلت المؤلفات الهندية إلى العرب ككتاب كليلة ودمنة الذي وضعة علماء الهند ثم نقله ابن المقفع إلى العربية، كذلك ذكر الجاحظ في البيان والتبيين أن خالد البرمكي اجتلب عدد من أطباء الهند، فاخذ العرب منهم الكثير [1] .

وخلاصة القول أن الترجمة كانت ذات أثر بالغ في تطور الحياة العلمية، فأغنت طرق التفكير، ووسعت آفاق التفكير، فصار العصر العباسي عصر تحضر كبير، وعصر فكر ونظر وبحث، فصار نوع من التفاعل بين الثقافات المختلفة، والفكر العربي، حتى صار المعتزلة بهده الصورة من التفكير وتطور وسائل البحث.

والحقيقة أن هذا الأثر للثقافات الأجنبية التي نشطت في العصر العباسي، لم تغير مجرى التفكير العربي، أو تبعده عن أصوله وأسسه، وإنما كان أثرها في صورته وإطاره العام.

أثر التطور على القصيدة العباسية

بلغت الحركة العقلية ذروتها في العصر العباسي، فكان عصر تحضر عميق، وعصر فكر وبحث ونظر، وعهد مدنية تضعف فيها الفطرة ، ويضيق فيها الخيال ، وكان لانتشار العلوم وأتساع الثقافة، واطلاع العرب على منطق اليونان، وثقافة الفرس والهند أثره في الشعر العربي، فكان الشعراء يتفاوتون في اندماجهم لهذا التطور ، وكيف تمكنوا من تصويره في إنتاجهم الأدبي، فكان قسم منهم أبرزه بصورة سطحية حيث أنحاز فيه الشعراء إلى إبراز ظواهر العلم، ومسائل الفلسفة في قصائد ومنظومات شعرية، وكان قسم أخر صاحب تصور عميق نتج عن إحساسهم بضرورة التطور الفني فظهر في طريقة التعبير، وفي الصياغة والموضوع، فظهرت موضوعات جديدة تمثلت في الحكمة والزهد، وفي المنظومات، فقد وجدت هذه الموضوعات في الشعر العباسي نتيجة اطلاع العرب على الثقافات الأخرى ، وأن كان بعض هذه الموضوعات معروف مند الجاهلية كالحكمة مثلا، والتي ظهر منها في شعر زهير وطرفة، غير أنها في العصر العباسي استقلت بقصائد كثيرة، بل قصر بعض الشعراء شعرهم على الحكمة، أمثال محمود الوراق وصالح عبد القدوس، وكذلك كان معظم شعر أبي العتاهية زهداً ووعظاً، غير أن هناك من النقاد القدامى والمحدثون من عاب على شعر الحكمة خلو أكثره من القيم الفنية، ومنهم الجاحظ الذي قال " إذا كانت القصيدة كلها أمثالاً لم تسر ولم تجر مجرى النوادر، ومتى لم يخرج السامع من شيء إلى شيء لم

[2] أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص381
[1] البيان والتبين للجاحظ ج1ص381

يكن عنده لذلك موقع "[1] وقال ابن رشيق " فلا يجب للشعر أن يكون مثلا كله وحكمة كشعر صالح عبد القدوس، فقد قعد به عن أصحابه وهو يقدمهم في الصناعة لإكثاره من ذلك [2].

وقصيدة الحكمة كما يصورها النقاد المحدثون" مختلفة النظام مفككة الأجزاء، وهي عبارة عن أمثال متلاحقة يصوغها الشاعر، ولا يربط بينها سوى مضمونها الوعظي أو التوجيهي الذي يعبر عن تجربة إنسانية"[3] .

وكذلك المنظومات الرجزية والمزدوج الذي نشأ بتأثير الثقافة الأجنبية، وكان الدافع لها حاجة الناس إلى التعليم، فنظمت العلوم ليسهل حفظها " وبرز في ذلك إسحاق بن خلف البهراني، وله أرجوزة في النحو، وكذلك للكسائي وأبان اللاحقي الذي نظم أرجوزة في الهند، وللجرمي أرجوزة في التاريخ، ولابن المعتز أرجوزة نظمها حول أحداث عصره[4] .

أما الموضوعات التقليدية كالمدح والهجاء والرثاء والوصف، هي الدلالة على تصور العقل العربي وقدرته على الاستفادة من الثقافات والعلوم الأخرى، فهذه الموضوعات الأصيلة التي ورثها العباسيون عن أسلافهم تامة النسج، مكتملة القيم، فقاموا بتطويرها بما يتناسب وروح العصر، وكان ذلك من خلال تضمينها كثيراً من الخبرات الفنية والعقلية، كذلك من خلال التعبير عن روح العصر وما يحمله من قضايا، كما دخلت عليه أفكار وآراء جديدة أغنت بحوثه ونوعت مجالاته، فكان التجديد في الشكل كما كان في المضمون، وقد تناول التجديد الشكلي مراعاة الجانب الجمالي في القصيدة، فصار الشكل الفني واحداً في مجموعه، مختلفا في تفصيلاته، وهذا المعيار ينبع من طبيعة الشعر نفسه، التي تسمح بتعدد الموضوعات في القصيدة الواحدة، مع مراعاة الانسجام والتوازن والترابط والتسلسل، يقول حازم القرطاجاني في منهج البلغاء " أن الحداق من الشعراء لما وجدوا النفوس تسأم التمادي على حال واحدة، وتوثر الانتقال من حال إلى حال ، ووجدوها تستريح إلى استئناف الأمر بعد الأمر، واستجداد الشيء بعد الشيء، ووجدوها تنفر من الشيء الذي لم يتناه في الكثرة، وإذا أخد مأخذاً واحداً ساذجًا، ولم يتحيل فيما يستجد نشاط النفس لقبوله بتنويعه والافتنان في أنحاء الكلام، وتسكن إلى الشيء، وإن كان متناهياً في الكثرة، وإذا أخد في شيء مآخذه التي من شأنها أن يخرج الكلام بها في معاريض مختلفة واحتيل فيما يستجد نشاط النفس لقبوله من تبويعه "[1]

فمعيار الجمال كما يراه أنصار التجديد يكمن في مراعاة ترتيب أجزاء القصيدة بحيث يقدم الشاعر ما يكون أقرب إلى النفس بحسب الغرض المقصود بالكلام، وهذا يستلزم العناية بفواتح القصائد، وطرق الانتقال من جزء إلى جزء، والاهتمام بمقاطع القصيدة ونهاياتها، وبعد ذلك يأتي الانتقال والتخلص، فيربط الغرض بالمقدمة ارتباطا قويا، فيربط بين المعاني في المقدمة ومعاني الغرض العام، كما دعا النقاد إلى الاهتمام بنهايات القصائد، وكذلك مقاطعها، وذلك لأنها أبقى في الأسماع، وأشد تأثيرًا في النفوس، فالنفس كما يقول الدكتور أحمد علي " تولع بالحسن والاعتدال والانسجام، والفهم يأنس بالتسلسل والترتيب والنظام [1]

---

[1] البيان والتبيين ج1ص205
[2] العمدة ج1ص193
[3] ابن الرومي، دراسة فنية، عزالدين الجرولي ص300
[4] فن الأرجوزة في العصر العباسي ص7
[1] منهج البلغاء ص295
[1] أثر النزعة العقلية في القصيدة العربية ص48

أيضاً دعا النقاد إلى " تتميم المقاطع، وتلطيف المطالع، وعطف الأواخر على الأوائل، ودلالة المصادر على الموارد، وتناسب الفصول والوصول، وتعادل الأوزان والأقسام، والكشف عن قناع المعنى بلفظ من الاختيار، أولى يطابق المعنى، ويتسابق فيه الفهم والسمع[2]

يقول ابن طباطبا معبرًا عن وحدة القصيدة " القصيدة ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها نسجا وحسنا وفصاحة، وجزالة الفاظ ودقة مغان وصواب تأليف "[3]

وقال الحاتمي " فأن القصيدة مثلها كمثل الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض"[4] أيضا ثمة جانب آخر التزمت به القصيدة العباسية، وقد دل على تطورها وتأثرها بنواحي الفكر والثقافة، هذا الجانب تمثل في تضمينها كل ما يجدب السامع ليضعه في جو نفسي يجعله يتفاعل مع الشاعر، فكان يستخدم لكل ممدوح الفاظه، فالملوك لهم الفاظهم، والعامة لهم الفاظهم، فضلا عن التزام الشعراء العباسيين بمبادي الأخلاق كالصدق، وقد أشار ابن طباطبا إلى ذلك في عيار الشعر قائلاً:" والفهم يأنس من الكلام بالعدل والصواب الحق الجائز المعروف المألوف، ويتشوق اليه وينجلي له، ويستوحش من الكلام الجائر الخطاء الباطل المنكر، وينفر منه ويصدأ له[1].

فلو نظرنا إلى شعر ابن الرومي وجدناه من اكتر الشعراء العباسيين عناية بالظواهر الفكرية والعقلية في شعره، حيث نجده في مدائحه يحرص حرصا شديداً على إتمام قصائده، ويعنى عناية خاصة باستقصاء معانيه واسترساله فيها، ولذلك عد من الخارجين على منهج القصيدة الذي دعا اليه النقاد، فقد عد بعضهم شعر ابن الرومي أقرب إلى الأعمال النثرية من حيث قدرتها على استيعاب الإطالة والشرح والتفصيل والتعليل والتفسير.

وإلى جانب هذا نجده يهتم بالأساليب العقلية، ومنهج أصحاب المنطق والفلسفة، ويذكر ألفاظ الفقهاء والمتكلمين فيدرجها ببراعة في شعره، ثم يفصلها بأحسن تفصيل، فكان يشبه أبا تمام حيث يعرض في شعره القضايا المتصلة بالفكر والثقافة، ثم يعالجها معالجة أصحاب الكلام والمنطق.

لكن رغم هذا الاتهام ففي شعره ما يدل على تتبعه لمنهج سابقيه من الشعراء في ذكر الطلل في بعض مدائحه، غير انه قد يطيل في هذه المقدمات الطللية حتى وصلت في إحدى قصائده إلى الستين بيتاً وهي القصيدة التي مطلعها:

طلُ دمع هريق في الأطلال بعد إقوائها من الحلال[2]

والبالغ عدد أبياتها سبعة وثلاثين وثلاثمائة بيت، كذلك في بعض قصائده نجده يشير إليها إشارة عابرة، ربما كان ذلك إيحاءً منه بالتزامه منهج سابقيه لمن يتهمه بالخروج دوما عنه، كذلك أهتم بشكل القصيدة، فرغم إطالته المسرفة، وتشعبه في أطراف قصائده، نلاحظ قدرته الكبيرة على الحفاظ على توازن القصيدة.

---

[2] شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، للمرزوقي ص26
[3] عيار الشعر لابن طباطبا ص126
[4] الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره ص704
[1] عيار الشعر ص200
[2] ديوان ابن الرومي، تحقيق حسين نصار ج4ص25

أما المقدمات المستحدثة فإن نفسه الشعري يقصر قليلاً، فلا تجد قصيدة ذات مطلع مستحدث مجدد تتجاوز العشرين بيتًا في عدد أبيات مطلعها وقد أعتمد في هذه المقدمات " المستحدثة " على توزيع الأفكار والتنوع في الموضوعات، فكان من سماته عدم أطالته في مقدماته المستحدثة أطالته في مقدماته التقليدية.

في حين أننا نجد شاعرًا مثل المتنبي قد أهتم بإيجاد الروابط المعنوية بين أجزاء القصيدة، وأتبع طرائق سابقيه في وصل المقدمة الطللية بموضوع المدح.

أما الخواتيم وخاصة في القصائد المدحية، فقد حرص شعراء بني العباس على الربط بين الغرض ومعاني الخاتمة، بالإضافة إلى اهتمامهم بتحسين صياغتها، من أجل تحسين موقعها في النفس، حيث يكون تركيز الشاعر على معنى سابق وإن أشار إليه في معرض المديح، لكن الشعراء يأتون على ذكر هذا المعنى في آخر القصيدة للتأكيد والتذكير، فهذا ابو نواس يختم قصيدته التي مدح بها العباس ابن عبدالله بقوله:

فهو بالمال جـــــــــــــــــــــــــــواد وهو بالعرض شحيـــــــــــــــــح[1]

وخلاصة القول أن شعراء بني العباس قاموا بتعديل بعض الأسس في منهج الشعر، وهو التعديل الذي سمح به إحساسهم بالفارق بين الحياتين القديمة الفطرية، والجديدة العقلية، فإذا كان الشاعر الجاهلي لا يسعى لإيجاد نظام متماسك بين أجزاء القصيدة، فيأتي بموضوعات مختلفة في قصيدته، ولا يرى ضرورة لربطها، فيكتفي بذكر موقف في الغزل وآخر في الوصف، ثم يخرج من هذه المواقف تاركاً وراءه فجوات وفواصل ، فنراه يخاطب سامعه بعبارات كمثل " دع عنك ذا "أو عد عن ذا " فيلفت النظر عما سبق، ويشد النظر إلى ما سيأتي، فيظهر العيب الذي حدث بسبب الانقطاع بين السابق وما سيأتي، فأن الشاعر العباسي قد أولى هذه الناحية جل اهتمامه، فجاء جهده قائماً على الربط بين أجزاء القصيدة ربطا عضويا، مما لا يسمح للسامع أن يشعر بالانقطاع أو الانعطاف من موضوع لأخر أو معنى إلى أخر، ولذلك اتفق مع الدكتور عزالدين الجرولي عندما قال " إن الشاعر العباسي قد أخضع منهج القصيدة إلى نظام العقل ، محدداً للمقدمة وظيفة، وربطها ربطا عضويا بالغرض، ووفر لها من الأسباب ما يجعلها تحوز على شروط المقدمة الصحيحة التي تربط بين اللفظ والمعنى، مما يجعل القصيدة وحدة متماسكة ، يتحدد فيها لكل قسم وظيفة "[1] فالمطلع الشعري لم يعد تعبيراً عن حالة نفسية أو موقف شعوري يثبته الشاعر في بداية قصيدته، وان استخدم الشاعر المقدمة لأداء وظيفة تتمثل في التأثير، فوظف كل قدراته اللغوية والفنية لذلك، فكلما كان المطلع قويا بارعاً أسر السامع وأثر فيه، ولهذا كانت المطالع الواضحة البنية السهلة غاية الشعراء في حاضرة بني العباس.

أيضًا مما يجدر بنا ذكره أيضاً أن المقدمة لم تكن غاية الشعراء وان الشاعر يعرضها ليتحدث فيها عن تجربة معينة، دون أن يكون لها علاقة بالغرض، بل يمكن القول بأنها كانت الوسيلة للوصول للغرض، أو كانت التمهيد للغرض كما أنها تودي إليه، كذلك تهيئ ذهن السامع للموضوع، كما أنها تتصل بالموضوع اتصالا وثيقا ومعنويا، حيث يسعى الشاعر إلى إخفاء الانتقال ما أمكنه ذلك، فلا يشعر المتلقي من أي جهة بلغ الشاعر موضوعه، ثم يخلص إلى تحسين مقاطع الشعر لأنها أخر ما يبقى في الأسماع، فوجب أن يقف الشاعر على معنى بديع ولفظ حسن، ليكون آخر بيت في القصيدة أجود ما فيها.

---

[1] ديوان أبونواس الحسن بن هاني ص434

[1] نظرة في القصيدة العباسية ص6

ومما لابد من الإشارة إليه أن هذا التغيير لم يكن في مجمله اختراعا أوجده الشاعر العباسي بتأمله أو اطلاعه على فنون القول، بقدر ما هو تطور وتعديل، وهذا يدل على أنه كان هناك تواصل بين القديم والحديث، فقد كان الأسلوب الشعري الجاهلي يعتمد على قوة التركيب، وجودة اللغة والعناية بالصياغة اللفظية، وخاصة الجانب الموسيقي المتمثل في الجرس والإيقاع، وذلك مراعاة لمناسبة الإنشاء، ولهذا طبعت الأشعار الجاهلية بطابع الغناء والإطراب، وتركز الاهتمام في التعبير عن العواطف والوجدان، فكان أكثرها يعنى بتصوير مشاعر الحب، ومنها ما ينشد لإثارة الحماسة، فكانت هاتان الخاصتان تعبيراً عن واقع الحياة القديمة التي توزعت أغلب جوانبها على الحب والفروسية، ولما جاء الإسلام كان لابد من أن يتطور العقل تطورا سريعا في ضوء ما كشفه القران الكريم من حقائق متصلة بالإنسان والطبيعة والوجود والغيب، فأنصرف الناس إلى أمور العبادة والتشريع وإقامة الفرائض كالصلاة والجهاد، وتطبيق تعاليم الدين التي تحض على تهذيب الفرد والمجتمع، كذلك أنصرف الناس الى الجهاد ونشر دين الإسلام، وقد أستغرق الجهاد العصور الإسلامية الأولى مند ظهور الدعوة حتى آخر عهد بني أمية، وبذلك لم يتمكن العقل من الإفادة من روعة القران وجمالياته.

أما في العصر العباسي، فكانت الدولة الإسلامية قد بسطت سلطانها على كثير من الأمم والشعوب، وبدأت الحياة تميل الى الاستقرار والهدوء، وتوقفت الحروب نسبياً، وبدأت حركة النشاط العقلي والفكري، وأطلع العرب على كل العلوم التي عرفوها في فتوحاتهم، سواء الإسلامية أو الأجنبية المترجمة، وبذلك شهد العصر العباسي حركة عقلية واسعة تناولت القران الكريم شرحا وتفسيراً، وكذلك التراث القديم بحثا وجمعا، بالإضافة إلى دراسة العلوم الأخرى، فعرفوا المنطق والفلسفة، وكان لذلك أثره في الارتقاء بتفكيرهم، وبالتالي نشطت الحركة الشعرية، وحركة النقد، ومن هنا برزت حاجات جديدة، وأساليب جديدة للتعبير عن حاجات العصر، ونتج عن ذلك تحول كبير في المفاهيم، واستخدمت كثير من الأساليب التعبيرية الفنية والنقدية، وبالتالي اهتم الشعراء بالأسلوب الشعري، وكذلك الأفكار، وترتيب الأفكار ترتيباً منطقياً، والاحتكام إلى العقل فيما يتعلق بالصحة والصدق والجمال، وأتباع طرائق الاستقراء والتحليل والاستنباط والتعليل، فتوسعت تأملات الشعراء ، والتأمل في الظواهر، فنتج عنه التحرر من قيود السابقين في السير، وفق نمط معين، وهو ما يسمى منهج القصيدة، فطوروا فيه ما يناسب روح العصر والحياة المدنية الجديدة، كما حافظوا على اللغة وأساليبها مع شيئاً من التجديد .

إن مسألة البحث في تأصيل لمنهج القصيدة العربية يقتضي الرجوع إلى دواوين الشعراء العرب خاصةً شعراء الحاضرة الأموية، حيث تتفق جل المصادر على أن الخليفة الشاعر الأموي الوليد بن يزيد هو رائد الخروج مذهب المتقدمين من الشعراء المتمثل في الوقوف علي الأطلال، والبكاء والرحيل وغيره مما سار عليه الشعراء قبل ذلك يقول:

قامت إلى بتقبيل تعانقني ريا العظام كأن المسك في فيها

أدخل فديتك لا تشعر بنا أحداً نفسي لنفسك من داء تفديها

بتنا كذلك لا نوم على سرر من شدة الوجد تدنيني وأدنيها[2]

فالمتمعن لهذه الأبيات يدرك سير الوليد على النمط الحجازي في شعره الغزلي، أما شعره الخمري فقد سار به على النمط العراقي، وبذلك كان شعره ذا تأثير في البيئة العباسية فيما بعد وخاصة شعر الغناء

[2] الأغاني ج6 ص124

والغزل وفي شعره الخمري، قال فيه البهبيتي " عذري الشعر، عذري الهوى حجازي قدَر له أن يكون قائدا لشعبية الشعر العراقي ...قادها ورسم مثلها، وفتح أبوابها، وكان واسطة نقلها من الحجاز إلى أرض الفراتين... وكان في اتجاهه الشعري وفي ميله عن سبيل الشعر القديم معبراً عن جماعة جديدة تغاير الجماعة القديمة، وهو الأدب الفني للعصر العباسي كله [1].

والحقيقة أن الوليد كان فعلاً منهاجاً للعديد من الشعراء أمثال بشار، وأبي نواس، ومسلم بن الوليد، ومطيع بن إياس،وآدم بن عبدالعزيز، ووالبة بن الحباب، وحماد عجرد وغيرهم، وكان أغلب التجديد في شعر هؤلاء متجهاً نحو الفن المتصل بالمجون قال آدم بن عبد العزيز:

أسقني وأسقي خليلـــي فـــي مدى الليل الطويـل

قهوةٌ في ظل كـــــرم سبيت من نهر بيـــــل

في لسان المرء منهـــا مثل طعم الزنجبيـــــل[2]

إضافة إلى التجديد في شعر المجون جدد الشعراء في نمط الشعر السياسي أو شعر المعارضة كما عرف عن السيد الحميري، فقد سار نحو السهولة والشعبية، فجعل من شعره خطاباً للدعوة إلى مذهبه، قال فيه ابن المعتز" لم يترك لعلي بن طالب فضيلة معروفة إلا نقلها إلى شعره[3] وبرز التجديد كذلك في شعر بشار بن برد الذي كان من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ،وكان لهذا أثره في تقلب الشاعر بين شخصيتين مختلفتين خاصةً في مدائحه، وجدد كذلك في شعر المجون والغناء، ومن مظاهر التجديد عند شعراء الخضرمة ظهور موضوعات جديدة مثل وصف الصديق، والصداقة، والغيرة الزوجية، والصبر، ووصف الكرم، ورثاء الفرس يقول حماد عجرد

كم من أخ لك لست تنكـــره ما دمت من دنياك في يسر

متصنع لـــك فـــي مودتـــه يلقاك بالترحيب والبشـــر

يطري الوفاء وذو الوفاء ويلحـ ي الغدر مجتهدا وذا الغدر

فإذا عدا والدهر ذو غيـــــر دهر عليك غدا مع الدهر[1]

هذا التجديد امتد إلى شعراء الدولة العباسية، وهذا طبيعي نظراً لعلاقة الشاعر بالحياة الجديدة، فقد اتجه التجديد في العصر العباسي إلى بنية القصيدة، فأصاب المقدمة، والأوزان والألفاظ والتراكيب، والصور والأخيلة، فاتجه الشعراء نحو التجديد من خلال تعلقهم بالمزدوج، والمحسنات، والمسمطات، والموشحات، والرباعيات والتي كثرت في خمريات أبي نواس الذي يقول:

أدر الكأس وأعجل من حبس وأسقنا ما لاح نجم في الغلس[2]

جدد شعراء الحاضرة الأموية أيضاً من خلال نظمهم لفن المسمطات المربعة والمخمسة ومن أمثلة المسمطات المربعة يقول أبو نواس:

---

[1] تاريخ الشعر العربي، نجيب البهبيتي، ص294
[2] الأغاني ج15ص285
[3] طبقات الشعراء لابن المعتزص32
[1] - طبقات الشعراء ص68
[2] - ديوان أبي نواس ص299

ســــــــــــلاف دن كشـمـس دجـــــــــــن

كدمــع جفـــــــــن كخمـر عـــــــــــــدن

طبيــخ شمـــــــــس كلـــــــــــــــون ورس

ربيـــب فـــــــــــرس حليف سجـــــــــــــــن[3]

إن ما قدمه شعراء القرن الثاني للهجرة من تجديد تمثل في مغادرة الوقوف على المنزل الداثر، وترك الرحلة، ووصف الصحراء، وإعلانهم جهاراً الخروج على ذلك قد بدأ يفقد بريقه مع دخول القرنين الثالث والرابع الهجريين فقد عاد أعلام الشعراء إلى الالتزام بمنهج القصيدة، وتركوا الدعوة إلى تحطيمه، فنجد ألوانا من المقدمة والرحلة، ووصف الصحراء وحيوانها، عند أبي تمام، والمتنبي، والبحتري، وابن الرومي الذي حفل ديوانه بالعديد من القصائد التي تمثل هذا الالتزام، مع وجود نسمات من التجديد بين قصيدة وأخرى فقد قال:

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دجون نجوم

منها معالم للهدى ومصابح تجلو الدجى والأخريات رجوع[1]

والحقيقة أنه لا يمكن إنكار أن المجتمع العباسي وما كان قد شهده من انحلال أخلاقي عند البعض كان له أثر كبير في التحرر من منهج القصيدة عند كثير من الشعراء كنا قد تطرقنا لأشعار بعض منهم في سياق الحديث عن الحياة الاجتماعية للقرن الثالث الهجري وتبين لنا مدى انعكاسه في الخروج عن منهج القصيدة وعمود الشعر العربي، فالقرن الثالث الهجري يعد مرحلة لها سماتها الخاصة في نظم الشعر, فقد انكب على قول الشعر الكثيرون ممن رأوا فيه وسيلة لغاية مادية أوغير ذلك، وإن كان الكثير من هؤلاء يفتقر إلى الموهبة والثقافة أو الاستعداد , لذلك نجد العقاد في أثناء حديثه عن ابن الرومي يبالغ قائلاً : " وعصر ابن الرومي لم يشذ عن القاعدة , بل كان هو القاعدة حين صار كل عربي في بغداد وغير بغداد شاعراً بالقوة أو بالفعل , وهو إلى الفعل أقرب , ومن كان منهم شاعراً بالقوة كالخلفاء والوزراء والأمراء وحتى الأعاجم كانوا يزاحمون العرب في إجادة نظم الشعر والسماع والرواية كيلا يقال عنهم أعاجم لا يفقهون من العربية شيئاً[2] , وما أبياته التي قال في مطلعها :

قد بلينا في دهرنا بملوك أدباء علمتهم شعراء[2]

إلا دليل على ذلك، هذه الظاهرة كان لها انعكاسها في خروج العديد من هؤلاء الشعراء وأشباههم على منهج القصيدة الذي دعى إليه عدد من الأدباء كابن قتيبة والجرجاني، لكن ظل أقطاب الشعراء آنذاك محافظين علي هذا المنهج ليبقى شعر القرن الثالث الهجري شعر الالتزام والتجديد.

خاتمة البحث

يتفق الدارسون للأدب العربي أن العصر العباسي هو عصر تطور الشعر العربي، وإن كان الامويون قد طرقوا باب هذا التجديد، لكنهم لم يتمكنوا من الثورة على الأسس القديمة كما فعلها العباسيون، فقد تم في هذا العصر إعادة هيكلة بنية القصيدة العربية، فقد اتجه العرب نحو التجديد والإبداع في الشعر بعد أن تمدنوا في العواصم والحواضر، وابتعدوا عن الصحراء وبيئتها الجلفة التي ولّدت القصيدة العربية القديمة، وأكسبتها شكلها وبنيتها التي عدّها بعض الشعراء والعلماء والنقاد أصولاً لا

---

[3] - العصر العباسي الأول، شوقي ضيف ص195

[1] - وفيات الأعيان، ابن خلكان ج3ص44

[2] - ابن الرومي حياته من شعره ص48

[2] ديوان ابن الرومي ج4 ص155

يجوز الخروج عنها وقد شمل التجديد بناء القصيدة العربية القديمة، فقد كانت تنعدم فيها الوحدة الموضوعية، ونعني بذلك أنّها تتكون من عدة موضوعات يتنقل فيها الشاعر حتى يلج موضوعه الرئيسي؛ من مدح أو فخر أو غزل أو هجاء، وقد استثني من ذلك الرثاء، لأنه موضوع حساس ويتميز بكثافة العاطفة، فيجوز للشعر الدخول في الموضوع مباشرةً والاستقرار عليه لما لهذا النوع من خصوصية، كما تميزت القصيدة في العصر العباسي في شكلها ومضمونها؛ إذ اتسمت بالوحدة الموضوعية والمباشرة في الدخول للموضوع المراد الحديث عنه، وذلك إضافة إلى تعدد الموضوعات التي تناولتها القصيدة في تلك الفترة، والطريقة التي عبر الشعراء بها عن عواطفهم وقضاياهم.

والله ولي التوفيق،،،

المراجع

1- الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري، تحقيق الدكتور مفيد قميحة، منشورات دار الكتب العلمية بيروت 1985
2- مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار الكتب العلمية القاهرة 1977.
3- البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقد، تحقيق أحمد بدوي وحامد عبد الحميد، منشورات دار الكتب العلمية القاهرة 1993.
4- ديوان ابن الرومي، تحقيق حسين نصار، منشورات دار الكتب العلمية بيروت، 1999
5- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993.
6- التراث اليوناني في الحضارة الإسلام، عبد الرحمن بدري، مكتبة النهضة المصرية ،1980
7- اخبار العلماء بأخبار الحكماء، جمال الدين الطفقي، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت 2005
8- البيان والتبين للجاحظ، تحقيق محمد النجار، دار صادر بيروت، 2004.
9- العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات دار الكتب العلمية القاهرة 1960
10- ابن الرومي دراسة فنية، عزالدين الجرولي، جامعة القاهرة، 1981.
11- فن الارجوزة في العصر العباسي، محمد هاشم، جامعة دمشق، .2003
12- منهج البلغاء وسراج الادباء، حازم القرطاجاني، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الكتب الشرقية تونس، 1966.
13- أثر النزعة العقلية في القصيدة العربية في العصر العباسي، احمد علي محمد، منشورات الهيئة المصرية للكتاب، 2002.
14- شرح ديوان الحماسة لابي تمام، علي احمد بن الحسن المرزوقي، نشره احمد أمين وعبدالسلام هارون، دار الجيل بيروت، 1991
15- عيار الشعر، محمد بن احمد العلوي بن طباطبا، تحقيق عباس عبدالستار، منشورات دار الكتب العلمية بيروت، 1982.
16- الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت، 1998
17- ديوان أبي نواس الحسن بن هاني، تحقيق أحمد عبد الحميد الغزالي، منشورات مطبعة مصر، 1953.
18- نظرة في القصيدة العباسية، احمد الفيومي، منشورات الدار الجديدة للنشر والطباعة القاهرة، 2008.
19- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار الثقافة بيروت، 1969.
20- تاريخ الشعر العربي، نجيب البهبيتي، دار الكتب العلمية بيروت، 2005
21- طبقات الشعراء لابن المعتز، تحقيق عبد السلام أحمد فراج، دار المعارف مصر، 1956
22- العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، دار المعارف بيروت، 1975.
23- وفيات الأعيان لأبن خلكان، تحقيق احسان عباس، منشورات دار صادر بيروت، 1988
24- ابن الرومي حياته من شعره، عباس محمود العقاد، اشراف داليا محمد إبراهيم، مطبعة نهضة مصر، 2009.